العرب
الجمعة 2021/05/07
السنة 43 العدد 12053

مزارعو الأردن ينتظرون أن تغيثهم السماء

الثمار تموت قبل نضوجها بسبب شح مياه الري

يهدد الجفاف منطقة الشرق الأوسط، والمحصول الزراعي أصبح يعاني من شح المياه حتى أن المزارعين في الأردن ينتظرون أن تحفّهم السماء بعنايتها ليعوضوا خساراتهم بعد أن ماتت الثمار قبل نضوجها. فالأردنيون إضافة إلى تضرر مزروعاتهم صاروا يعانون أيضا من نقص مياه الشرب.

شقوق الأرض لا تنبت زرعا

غور الحديثة (الأردن) - يشير أحمد داود إلى الأرض الزراعية التي جاء يتفقد محصولها من الطماطم، وقد ماتت الثمار قبل نضوجها بسبب شح المياه، قائلا "انظروا كيف ماتت من شدة العطش، خسرنا كل شيء تقريبا هذا الموسم".

في بلد يعد من أكثر دول العالم افتقارا إلى المياه يقف داود في أرض مشققة مع بقع بيضاء في ترابها. ويضيف المزارع الباكستاني (25 عاما) المولود في الأردن والذي يتحدث العربية بطلاقة "لو كانت هناك مياه لكانت هذه الطماطم بهذا الحجم" فاتحا قبضة يده.

ويروي الشاب الذي ارتدى سروالا من الجينز وقميصا أزرق ولف رأسه بقطعة قماش للوقاية من أشعة الشمس كيف وصل والداه عام 1976 إلى الأردن، وهما جزء من مجتمع يضم 3200 باكستاني بدأوا ينتقلون إلى المملكة منذ الستينات في طريق العودة من أداء فريضة الحج إلى مكة.

ويستأجر أحمد أرضه الممتدة على مساحة خمسين دونما (خمسة هكتارات) من مالكيها الأردنيين في غور الحديثة جنوب البحر الميت على بعد نحو 80 كلم جنوب غرب عمان، في منطقة غنية بمزارع الخضروات والفواكه. لكن الجفاف هذا العام بلاء حقيقي.

ويقول "كل عام نعاني من مشكلة نقص المياه، لكن هذا العام الأمور أسوأ، تأتي المياه مرتين أو ثلاث في الأسبوع وتكون ضعيفة جدا، فلا نتمكن من سقي مزروعاتنا أو ملء خزاناتنا".

ويعاني جميع المزارعين في غور الحديثة من المشكلة نفسها. وتتشكل تجاويف في المنطقة بسبب الجفاف، وتظهر حفر، وتنهار التربة تحت أقدام مزارعين يحرثون أرضهم يدويا بسبب ضعف التربة.

في مزرعة مجاورة جلس إبراهيم دغيمات (43 عاما) في سيارة "بيكب آب" زرقاء ليحمي نفسه من أشعة الشمس وهو يراقب ثماني فتيات يحصدن ثمار الفاصوليا الخضراء.

ويقول دغيمات "أرضي مساحتها 90 دونما مزروعة بالفلفل والطماطم والباذنجان والكوسا والزهرة والملفوف، نحو 60 دونما منها لم أستفد منها بأي شيء، كلها تلفت بسبب نقص المياه والأمطار".

ويضيف "تقدّر خسارتي بأكثر من 30 ألف دينار (43 ألف دولار)، ولا أملك حتى أجور العمال، بينما الدولة لم تعوضنا (عن خسارتنا) بشيء".

ويضاف إلى مشكلة الجفاف انخفاض أسعار بيع الخضروات بشكل كبير مع تراجع صادرات الأردن من الفاكهة والخضروات بنسبة 20 في المئة العام الماضي بسبب إغلاق الحدود وتناقص عدد الزبائن والهياكل التي يُتَعامل معها كالفنادق أو المطاعم التي تعاني بسبب القيود المفروضة جراء وباء كورونا.

ويؤكد داود بحسرة، وهو يرفع بيده جذعا مليئا بطماطم خضراء غير ناضجة، "هذا محصول خمسة أشهر من التعب والجهد والإرهاق كله راح. بعد أسبوعين، سيتعين علينا رفعه وحرقه كي نعدّ الأرض للموسم القادم".

ويعمل داود في المزرعة مع أربعة من إخوته وأطفالهم الذين يقدر عددهم بثلاثين شخصا يقيمون في بيوت مؤقتة بائسة قرب المزرعة يطلق عليها اسم "العرائش"، وهي مصنوعة من هياكل خشبية أو حديدية، وملبّسة ببلاستيك سميك.

ويقول "هذه ليست مشكلتي وحدي، الأمر نفسه ينطبق على أراضي أربعة من أخوالي وأعمامي كل واحد منهم زرع 50 دونما بالطماطم والبصل والشمام، وأغلبها تلفت بسبب الحر ونقص المياه".

بالقرب من هذه المزارع فقد البحر الميت المهدّد بالجفاف ثلث مساحته السطحية منذ 1960، ومستوى مياهه ينخفض بمعدل متر واحد سنويا.

ولطالما عانى الأردن، الذي تشكّل الصحراء 80 في المئة من أراضيه، من نقص المياه.

ويؤكد المتحدث باسم وزارة المياه والري عمر سلامة أنهم في العام الحالي سيكون وضعهم المائي "حرجا وصعبا".

وبحسب سلامة فإن "حصة الفرد الواحد سنويا من المياه تراجعت من 3400 متر مكعب عام 1946 إلى أقل من 100 متر مكعب حاليا بسبب تراجع هطول الأمطار والتغيّرات المناخية والنمو السكاني وأزمات اللجوء المتعاقبة".

ويوضح أن "كمية الأمطار التي هطلت العام الحالي بلغت حوالي 4.5 مليار متر مكعب، بما لا يتجاوز 50 في المئة من الأمطار التي هطلت العام الماضي و60 في المئة من معدل الأمطار السنوي".

ويتابع "نتيجة لذلك انخفض تخزين مياه السدود الثلاثة المخصصة لغايات الشرب بنحو 80 مليون متر مكعب عما كانت عليه العام الماضي".

ويؤكد أن "كميات المياه التي يحتاجها الأردن سنويا لكافة الاستخدامات تقدر بنحو 1.3 مليار متر مكعب ولكن المتاح منها يتراوح بين 850 إلى 900 مليون متر مكعب".

وفي الإجمال سيعاني الأردن نقصا في المياه المخصصة لأغراض الشرب الصيف القادم بمقدار 40 مليون متر مكعب. ويدعو سلامة السكان إلى "ترشيد استهلاكهم وعدم التبذير".

ووفقًا لخبراء يمر الأردن بواحدة من أشد حالات الجفاف في تاريخه، فيما الأسوأ لم يأت بعد. وقد ينخفض هطول الأمطار بمقدار الثلث تقريبًا بحلول عام 2100 ، بينما من المتوقع أن يرتفع متوسط درجة الحرارة بنحو 4.5 درجات.

> **حصة الفرد الواحد سنويا من المياه تراجعت من 3400 متر مكعب عام 1946 إلى أقل من 100 متر مكعب حاليا**

ومن أجل مواجهة النقص في المياه طلب الأردن من إسرائيل الشهر الماضي تزويده بثمانية ملايين متر مكعب إضافية من المياه. وهو يحصل عادة من إسرائيل على 55 مليون متر مكعب من المياه سنويا.

وأوضح مصدر إسرائيلي أن إسرائيل ستزود المملكة هذه السنة "بثلاثة ملايين متر مكعب" إضافية.

أما منسق المشاريع البيئية في برنامج الأمم المتحدة الإنمائي في الأردن سامي طربيه فقد أكد على ضرورة "البحث عن حلول على المستوى الإقليمي والدولي خصوصا أن الأردن بلد متأثر أكثر مما هو مؤثر في قضية التغير المناخي من حيث نسب انبعاثات غازات الدفيئة".

وأشار إلى أهمية زيادة حصة الأردن في التمويل لمواجهة تبعات التغير المناخي، وإنشاء "أحواض مائية مشتركة مع دول الجوار، والتعاون إقليميا في إنشاء قاعدة بيانات مناخية لتكون الأساس في تفعيل نظام إنذار مبكر للمخاطر المناخية".

قوارب صيد السمك شرق العراق تمخر في الجفاف

بعقوبة (العراق) - منذ عدة أسابيع يزحف الجفاف بوتيرة متصاعدة نحو أكبر خزين مائي في محافظة ديالى شرقي العراق وهو يحاصر صيادي الأسماك ويجبرهم على النزوح المؤقت وسط مخاوف من أن تكون الأوضاع أشد قسوة مع قرب حلول موسم الصيف وارتفاع درجات الحرارة.

وقال صياد الأسماك أبوسلام الجبوري (61 سنة) لوكالة أنباء شينخوا إن" وضع بحيرة حمرين ينذر بخطر حقيقي، وخاصة أن الجفاف زحف بوتيرة متصاعدة في الأسابيع الماضية، وبرزت أراض واسعة كانت لوقت قريب مغمورة بالمياه"، لافتا إلى أنه اضطر إلى مغادرة موقعه المفضل لصيد الأسماك إلى موقع آخر للاستمرار في عمله.

> **كمية الأسماك التي ترد إلى الأسواق من البحيرة انخفضت بنسبة تصل إلى 50 في المئة في الأسابيع الأخيرة**

وشكلت بحيرة حمرين لأكثر من نصف قرن مصدر رزق للعشرات من الأسر القريبة من البحيرة، حيث أمّنت مصادر رزقها عن طريق صيد الأسماك بمختلف أنواعها.

وأضاف الجبوري أن "بحيرة حمرين سبق وأن ضربتها موجات جفاف حادة سنة 2007 وقبلها أيضا، لكن هذه المرة ربما تكون الأعنف في ظل حديث عن أن نهر ديالى الذي يمثل شريان الحياة للبحيرة قد انحسرت مياهه القادمة من بحيرة دربندخان في إقليم كردستان شمالي العراق بنسبة عالية جدا، بالإضافة إلى انعدام الأمطار والسيول التي كانت تساعد في زيادة خزينها".

أما مصعب الوندي، وهو صياد أسماك منذ 20 عاما تقريبا، فقال إن "الجفاف واضح في أطراف بحيرة حمرين الغربية والشرقية القريبة من طريق حوض حمرين"، لافتا إلى أنهم يسمعون من المختصين "أن الكارثة ما زالت في بدايتها وربما تكون أكبر تأثيرا خلال الأشهر القادمة".

وأضاف أن "من 100 إلى 150 صيادا يتواجدون في بحيرة حمرين وربما أكثر في بعض المواسم وهم يشكلون أقدم الصيادين في محافظة ديالى"، مؤكدا "أننا تعودنا على لعنة الجفاف المتكررة لكننا نأمل بأن تسعفنا عناية السماء".

وتعد بحيرة حمرين بمثابة الخزان الاستراتيجي للمياه في محافظة ديالى ذات الطبيعة الزراعية، وتمد أغلب الأنهار في المحافظة بالمياه.

وأوضح أحمد الزركوشي، المسؤول الإداري لمنطقة السعدية التي تقع على ضفاف بحيرة حمرين، أن "البحيرة تضم الخزين الاستراتيجي من المياه لمحافظة ديالى وتستوعب أكثر من مليارين و400 مليون متر مكعب من المياه، لكنها فقدت أكثر من 60 في المئة من مياهها، وهي في انخفاض مستمر لأن كمية المياه التي تصلها من نهر ديالى قليلة جدا".

وأضاف أن "انخفاض بحيرة حمرين يؤثر على 70 في المئة من مناطق ديالى بشكل مباشر لأنها تشكل شريان الحياة لـ90 في المئة من الأنهر في المحافظة"، لافتا إلى أن صيادي الأسماك هم أول المتضررين من انخفاض المياه الحاد في البحيرة ولكن الضرر سينسحب في الفترة المقبلة على القطاع الزراعي والفلاحين وهم بالآلاف.

وأكد فرات التميمي، عضو مجلس النواب العراقي عن محافظة ديالى، أن نسبة الأمطار خلال موسم الشتاء الماضي كانت منخفضة جدا وهذا الأمر انعكس على الإمدادات المائية لنهر ديالى الذي يعد أهم مصادر تزويد بحيرة حمرين بالمياه، مشددا على أن المحافظة على أعتاب مرحلة قاسية جدا في الصيف القادم.

ويأخذ نهر ديالى مياهه من بحيرة دربندخان في كردستان العراق، والتي تستمد مياهها من نهر سيروان الذي ينبع من إيران والذي فقد جزءا كبيرا من وارداته بسبب قيام السلطات الإيرانية بإنشاء سدود على روافده في السنوات الأخيرة.

الهجرة هي البديل

وأوضح التميمي أن "صيادي الأسماك بالطبع سيصيبهم ضرر كبير بسبب انحسار مياه البحيرة وتقلص مساحتها، وعلى الحكومة المحلية في ديالى والحكومة المركزية أن تعملا على مساعدتهم لإيجاد فرص عمل بديلة أو دعمهم ماديا وتشجيعهم على إقامة بحيرات اصطناعية لتربية الأسماك".

أما عماد خليل، وهو تاجر أسماك محلي، فقد أشار إلى أن "كمية الأسماك المنتجة من بحيرة حمرين في انخفاض مستمر لأن الصيادين يواجهون صعوبات بسبب الانحسار المستمر للمياه"، مبينا أن كمية الأسماك التي ترد إلى الأسواق من البحيرة انخفضت بنسبة تصل إلى 50 في المئة في الأسابيع الأخيرة وربما ستنخفض أكثر في الأشهر القادمة.

وأضاف "نحن كتجار أسماك بدأنا نتجه إلى أصحاب الأحواض والبحيرات الاصطناعية لتغطية النقص الحاصل في الأسماك وتأمين احتياجات الأسواق المحلية".

واعتبر عاصم خلدون (خبير أمني محلي) أن الأجزاء الغربية والشرقية من بحيرة حمرين التي ضربها الجفاف هي المنطقة الآمنة لعمل الصيادين، إذ أنها تخضع لسيطرة القوات الأمنية ويستطيع الصيادون العمل فيها بحرية، أما الأجزاء الشمالية والجنوبية من البحيرة التي تمتد على مساحات واسعة فما زالت تشهد بين الحين والآخر خروقات أمنية لمسلحي تنظيم ما يعرف بالدولة الإسلامية (داعش)، ولذلك فإن توجه الصيادين للعمل فيها ينطوي على خطورة كبيرة.

وأشار إلى أن صعوبات الحياة وفقدان الكثير من الصيادين فرص العمل في هذه البحيرة قد يدفعان البعض منهم إلى المغامرة من خلال التوجه إلى الصيد في مناطق غير مؤمنة بشكل كامل، الأمر الذي يشكل خطرا كبيرا على حياتهم، لافتا إلى أن الخيار الأفضل بالنسبة إلى هؤلاء الصيادين هو النزوح مؤقتا والعمل في مناطق أخرى أو مجالات أخرى غير الصيد لحين عودة المياه إلى المناطق الآمنة من البحيرة التي شكلت ملاذا آمنا وفرصة عيش لهم ولعائلاتهم على مدى سنوات طويلة.